الدولة الإخشيدية ونهايتها

(323-358هـ/ 935-969م)

السنوسي موسى آدم صالح[1]
محمد المصطفى أحمد مكي [2]

الملخص

هدفت دراستهما إلى التعرّف على الدولة الإخشيدية التي قامت في مصر (323هـ/935م)، وعلى مؤسسها محمد بن طغج بن جف " الإخشيد ". اتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة: إنّ قيام الدولة الإخشيدية كان نتيجة لضعف الدولة العباسية. كما أنّ من أهم الأسباب التي ساعدت على قيامها: انتشار التيارات السياسية والمذاهب الفكرية المختلفة في تلك الفترة. أيضاً هذه الفترة شهدت نهضة أدبية كبيرة كان قوامُها أبا الطيب المتنبي وكشاجم والناشئ الأصغر ومحمد بن عاصم. وبناءً على ذلك فقد قامت هذه الدولة على أنقاض الدولة الطولونية بمصر. (323هـ/935م). من نتائج الدراسة أنّ قيام الدولة الإخشيدية كان نتيجة لضعف الدولة العباسية، ومما توصي به الدراسة: مراعاة تكثيف الدراسات التاريخية في المجالات العلمية والفكرية والجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية، والتوسع في الاطلاع على هذه الحقبة.

1 أستاذ مشارك – كلية التربية – مرحلة الأساس – جامعة السلام
2 أستاذ مساعد - كلية التربية – مرحلة الأساس – جامعة السلام

المقدمة :

عادت مصر إلى أحضان الخلافة العباسية، لكن هذه الخلافة أصابها الوهن مرة أخرى في عهد الخليفة المقتدر (295-322هـ/ 908-932م) ، وظهر عجزها في المحافظة على سلطتها في ولاياتها ومنها مصر ، ورافق ذلك ظهور خطر خارجي تمثل في محاولات الفاطميين غزو هذا البلد، فتطلب الوضع وجود حاكم قوي يملأ الفراغ، ويتصدى للأخطار، ويجعل من مصر دولة حاجزة أمام الزحف الفاطمي فولّى الخليفة العباسي محمد بن طغج بن جف على مصر في عام (323هـ/935م) وكلفه بهذه المهمة فأسس الإمارة الإخشيدية (323-358/935-969م) . وقد اهتم محمد بن طغج أولاً بتقوية مركزه في الداخل، منتهجاً نهج أحمد بن طولون، ونجح في التصدي لحملات الفاطميين التي هاجمت مصر في عام (324هـ/936م)، وحافظ في الوقت نفسه على علاقته الطيبة مع الخلافة العباسية التي أضافت إلى أملاكه بلاد الشام، ولقبه الخليفة ب" الإخشيد" . كما كانت الخلافة العباسية آنذاك، تشهد تطورات سريعة بفعل الصراع من أجل الحصول على منصب أمير الأمراء، فدخل الإخشيد في دوامة هذا الصراع، فهزم ابن رائق في العريش في عام (328هـ/940م) لكنه آثر تقديم المصلحة العامة على مصلحته الخاصة فعقد صلحاً مع ابن رائق تنازل له بموجبه عن الأراضي الواقعة شمالي الرملة ، ثم سيطر على كامل بلاد الشام بعد وفاته في عام (330هـ/942م) واعترف الخليفة المتقي بوراثية ولايته على مصر، وأقره على بلاد الشام. كما اصطدم الإخشيد بسيف الدولة الحمداني أثناء توسعه باتجاه الشمال، إلا أنّه تراجع على الرغم من انتصاره؛ لأنّه أدرك ضرورة وجود قوة إسلامية في شمالي بلاد الشام كقوة الحمدانيين، للتصدي لاعتداءات البيزنطيين. وقد توفي الإخشيد في عام (334هـ/945م)، فاستولى كافور على زمام السلطة بوصفه وصياً على ولديه

الصغيرين أنوجور وعلي، واستطاع خلال مدة وصايته الطويلة، أن يحافظ على تماسك الدولة، لكن وفاته في عام (357هـ/968م)، واضطراب الأوضاع في مصر نتيجة ذلك، دفعت الفاطميين للإغارة على مصر، ونجحوا في دخولها في العام التالي، وقضوا على الحكم الإخشيدي بها.

أ/ أهداف الموضوع :

إلقاء الضوء على فترة تاريخية شابتها كثير من الضبابية والتحريف، ووضع لبنة في بناء صرح الدولة الإسلامية "إحياء التراث الإسلامي" .

ب/ أهمية الموضوع :

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه محاولة جادة لرسم صورة واضحة لأوضاع الدولة الإخشيدية من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الفترة من 323- 358 هـ/ 935- 969م والتغيرات التي ترتبت على قيامها.

ت/ سبب اختيار الموضوع :

تقديم صورة واضحة عن الدولة الإخشيدية في مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ث/ نطاق الدراسة :

تتناول الدراسة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمصر في فترة حكم الإخشيديين أما زمانها فينحصر في الفترة الممتدة من 323- 35هـ/ 935 – 969م.

ج / منهج البحث:

اتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي الموضوعي لاستقراء حقائق الدولة الإخشيدية.

(أ) قيام الدولة الإخشيدية :-

عادت مصر إلى عهد التبعية المطلقة للعباسيين، عقب سقوط دولة الطولونيين في العام 292هـ/ 904م، إلا أنّ الاضطرابات استمرت في البلاد بعد خضوعها لدار الخلافة، وذلك لضعف الخلفاء العباسيين في بغداد وعجزهم عن المحافظة على سلطاتهم فيها، لاستبداد الأتراك بسبب المنافسة القائمة بين الولاة وعمال الخراج، وعلى إثر زوال الدولة الطولونية، قامت الدولة الإخشيدية(*) في مصر سنة (323هـ/935م) وحكمت مصر حوالي 34 سنة، وتنسب هذه الدولة إلى مؤسسها محمد بن طغج الإخشيد، وكان "جف" جد الإخشيد من رجال الخلفاء العباسيين المعتصم(*) والواثق(*) ثم المتوكل(*)، ومات في نفس الليلة التي قتل فيها المتوكل يوم الأربعاء 4/ شوال/ 248هـ الموافق 862م [1] .

(*)كلمة "إخشيد" معناها "ملك الملوك" وكانوا من أهل فرغانة في بلاد ما وراء النهر وكانوا يلقبون بالإخشيد، وكلمة إخشيد مركبة من الكلمة التركية "آق" بمعنى أبيض والكلمة الفارسية "شيد" بمعنى شمس ، ومعنى "أق شيد" الشمس البيضاء ، ولكنها تنطق في بعض الروايات بكسر الهمزة . أنظر : أبي المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغري بردي "ت 874هـ / 1469م" : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، ج3 ص236. والدكتور احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ج1 ، دار المعارف بمصر القاهرة ، 1972م ، ص129.

(*) المعتصم: ولي الخلافة سنة 218- 227هـ/ 833- 842م والواثق ولي الخلافة سنة 227- 232هـ/ 842- 847م أما المتوكل فقد ولي الخلافة سنة 232- 247هـ/ 847- 861م. انظر: العبادي، أحمد مختار" بروفيسور" : في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية، 1987م،ص 116- 124.

(1) حسن ، علي إبراهيم "دكتور": مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلي الفتح العثماني، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط5، 1964م، ص85. وضيف، شوقي، "دكتور" : عصر الدول والإمارات، دار المعارف القاهرة ، 1990م ، ص19 - 20 . والخضري ، الشيخ محمد بك : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية "الدولة العباسية" ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ،د ت، ص268.

(*) البيزنطيون: هم المعروفين بأصحاب إمبراطورية الروم والتي عاصمتها القسطنطينية. انظر: العدوى، إبراهيم أحمد "دكتور" العالم الإسلامي، الجزء الأول، بدون مكان نشر، 1425هـ/ 2005م ، ص 174.

التحق طغج بن جف بعد وفاة أبيه بخدمة أحمد بن طولون، ولكنه خرج عن طاعة خمارويه وانضم إلى عدوّه إبن كنداج والي الموصل، حتى عقد الصلح بين خمارويه وابن كنداج، فأعلن طغج ولاءه لخمارويه، فولّاه على دمشق وطبرية، ثم كلّفه بقتال البيزنطيين(*)، فهزمهم في عدّة معارك ، ولكن سرعان ما ساءت العلاقة مرة أخرى بين طغج وخمارويه لرفضه القبض على والي طرسوس، واتهم "طغج" باشتراكه في قتل أبي العساكر جيش بن خمارويه سنة 283هـ/ 891م[2].

وبعد تلك الأحداث انضم طغج إلى القائد العباسي محمد بن سليمان الذي قضى على الدولة الطولونية سنة 292هـ/904م كما صحب طغج القائد محمد بن سليمان إلى بغداد ولكن سرعان ما ساءت العلاقة بين الرجلين، وأمر الخليفة بسجن طغج وإبنيه محمد الإخشيد وعبيد الله، ومات طغج في السجن وأطلق محمد بن سليمان ولديه وألحقهما بخدمته، ولكنهما تآمرا مع ابن حمدان على قتله، وهرب محمد بن طغج إلى الشام والتحق بخدمة واليها أبي العباس أحمد بن بسطام، حتى إذا تولّى حكم مصر صحبه ابن طغج، ولما توفي ابن بسطام التحق ابن طغج بخدمة أبي المنصور تكين والي مصر، وأبلى ابن طغج بلاءاً حسناً في صدّ الجيش الفاطمي الذي حاول فتح مصر سنة 301هـ/914م، بقيادة حباسة بن يوسف أحد زعماء كتامة الذي قتله الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي عقب هذه الهزيمة[3].

([2]) الخرب وطلي ، علي حسني ، "دكتور": مصر العربية الإسلامية : مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د ت، ص88 – 89.

([3]) ابن كنعان ، القاضي الشيخ محمد بن احمد : تاريخ الدولة العباسية وما وافقها من الممالك ، القسم الثاني ، خلاصة تاريخ ابن كثير، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان ، ط1: 1419هـ/1998م،، ص414.والخربوطلي: مصر العربية الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ص 89. والكندي ، أبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري، "ت 350هـ / 961م" :كتاب الولاة وكتاب القضاة: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1908م ، ص269.

ومن ثمّ أبدى الخليفة العباسي المقتدر رضاه عن ابن طغج، فولاّه على الرملة(*) ثم دمشق ثم ولاّه الخليفة المتقي سنة 323هـ/936م على هذه المناطق بعد صدّه الفاطميين سنة 321هـ/934م ، وسمح له باتخاذ لقب الإخشيد ، وأصبح ابن طغج يحكم مصر وفلسطين وبلاد الشام والعراق حتى نهر الفرات، وفي هذه الفترة كانت الدولة العباسية تعاني كثيراً من مظاهر الضعف والفوضى، وعجز الخليفة المتقي عن الحكم، فاختار رجلاً قوياً، وهو محمد بن رائق والي واسط، و ولاّه منصب "أمير الأمراء *" في بغداد سنة 324هـ/937م، وسيطر ابن رائق على بلاد العراق، ثم بدأ يسيطر على بلاد الشام، فبدأ الصراع بين ابن رائق والإخشيد[4].

وقد تقدم الإخشيد بشكواه للخليفة من اعتداءات ابن رائق، ولكن الخليفة كان راضياً عن ابن رائق أو عاجزاً عن التصرف، فأعلن الإخشيد خلعه لطاعة الخليفة، وألغى الدعاء له في خطبة الجمعة: ثم بدأ الصدام المسلح بين الإخشيد وابن رائق في الشام، وانتهى القتال بعقد الصلح، الذي كان من أهم بنوده: أن تكون البلاد الشامية شمالي الرملة لابن رائق، وبدأ زحفه نحو مصر في سنة 328هـ/941 م وخرج الإخشيد للقائه فالتقيا عند الرملة وانتصر الإخشيد، ولكن ابن رائق نجح أخيراً في هزيمة جيش الإخشيد وتصالح الفريقان مرة أخرى على أن يدفع الإخشيد لابن رائق جزية(*) سنوية قدرها مائة وأربعون ألف دينار ،

---

*الرملة مدينة عظيمة بفلسطين، كانت رباطاً للمسلمين ، وقد نسب إليها قوم من أهل العلم. أنظر: الحموي، شهاب أبي عبدا لله بن عبد الله الحموي الرومي، (ت 626هـ/1229م): معجم البلدان، ج3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1906م ص69.

([4]) إسماعيل ، صبحي إسماعيل إبراهيم : الصراع العباسي الفاطمي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، المكتبة المركزية ، جامعة النيلين ، 1420هـ / 2000م، ص 78. والخربوطلي: مصر العربية الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ص90.

* وهو الذي هزم كوتكين وجعله يختفي وذلك عندما حاول دخول بغداد ، وقد قام ابن رائق بقتل من طلب الأمان من جنود كوتكين الديلمي ، وكان عددهم نحو 400 شخص ، وحينئذ خلع المتقي على بن رائق وسماه أمير الأمراء. انظر : الخضري : تاريخ الأمم الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ص 369.

والحكومة المركزية في بغداد كان موقفها من ذلك كله موقف المتفرج، وتوفي محمد بن طغج الإخشيدي بدمشق سنة 334هـ الموافق 946م)، ونُقل جثمانه إلى بيت المقدس ودفن هناك [5].

(ب) تولية كافور عرش الدولة :-

حينما أحسّ الإخشيد بقرب وفاته، عهد بالحكم إلى ابنه أبي القاسم أنوجور، وأن يتولّى كافور الوصاية عليه، ومات الإخشيد في دمشق حيث كان يحارب الحمدانيين[*]، بعد أن حكم حوالي إحدى عشرة سنة، وتولّى بعده ابنه أنوجور وكان في الخامسة عشر من عمره، وأقر الخليفة المستكفي بالله العباسي توليته ووصاية كافور عليه[6].

(*) الجزية: تؤخذ الجزية من أهل الذمة، والجزية هي الخراج المضروب عليهم كل عام. أنظر: الإمامين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تفسير الجلالين، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، ص150.

([5]) كاشف، سيدة إسماعيل، "دكتورة": مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1989م ص149. وابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين أحمد إبراهيم بن أبي بكر الشافعي ، (ت681هـ / 1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج5 ، دار صابر ، بيروت ، لبنان ، 1977م ، ص59.
والعبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، مرجع سبق ذكره، ص 142.

(*) الحمدانيون: نسبة إلى حمدان بن حمدون، ويرجع أصلهم إلى قبيلة تغلب العربية، والذين أسسوا لهم دولة في شمال العراق وعاصمتها الموصل (317- 358هـ/929- 991م).انظر: العدوي، تاريخ العالم الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص

([6]) الخربوطلي : مصر العربية الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ص95.

(*)(أبو المسك) أطلقت هذه الكنية من قبيل التلميح والمشاكلة ، لأن المسك أسود اللون، وكان كافور كذلك، وكثيراً ما
يستعمل العرب ذلك . قال عنترة العبسي :

فإن أك أسوداً فالمسك لوني * وما لسواد جلدي من دواء
ولكن تبعد الفحشاء عني * كبعد الأرض من جوَ السماء

نعم. الدعابة إنما هي في إطلاق لفظ كافور عليه ، لأن الكافور أبيض وكان هو أسود اللون. وكافور كان عبداً خصياً دميماً ، بديناً ثقيلاً ، ورجلاه مشوهتان . فاشتراه أبوبكر محمد بن طغج الإخشيد سنة 312هـ وكان من رؤساء الأجناد . ولما آلت ولاية مصر للإخشيد ، ترقى كافور في بلاطه . أنظر : حسن ، حسن إبراهيم (دكتور): تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ، مصر ، سورية وبلاد العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط4 ، 1981م ، ص 122.

وقد كان كافور في مطلع حياته مملوكاً بسيطاً ، أسود البشرة ، اشتراه محمد بن طغج الإخشيدي ونال ثقته، وكان يكنى أبا المسك(*) ثم ولاّه الإخشيد قيادة جيشه لقتال سيف الدولة الحمداني صاحب حلب، إثر استيلائه على دمشق، وقد عول المسير إلى الرملة لغزو مصر، فحاربه كافور والحسن بن عبيد الله بن طغج أخي محمد بن طغج الإخشيد، وانتصرا على سيف الدولة انتصاراً حاسماً بالقرب من مرج عذرا بجوار دمشق، ودخل الجيش المصري مدينة حلب، وعقدت بين الفريقين معاهدة الصلح بنفس الشروط التي عقدت بها في أواخر أيام الإخشيد، التي من أهمها: أن تكون للإخشيد ولاية دمشق وما يليها جنوباً ولسيف الدولة الحمداني البلاد الشمالية من حمص إلى حلب، وحصل كافور على موافقة الخليفة العباسي على تولية الأمير الصغير على مصر والشام وعلى المدينتين المقدستين مكة والمدينة المنورة، كما ضم فيما بعد كل بلاد سورية، حتى مدينتي حلب وطرطوس، بذلك عظم شأن كافور، وزادت شهرته واستطاع أن يقبض على زمام الأمر، من غير أن تكون له سلطة تشريعية، ثم عهد إليه بتربية أبي القاسم أنوجور وأبي الحسن علي، وكان كافور وقت وفاة الإخشيد بالشام، فأسرع بالعودة إلى مصر[7].

وقد تولّى كافور الوصاية على أنوجور، وأصبح صاحب السلطة والحاكم الحقيقي لمصر، واتخذ كافور لقب "الأستاذ" فقد كان أستاذاً لولدي الإخشيد، وذكر اسمه في الخطبة، ودعي له على المنابر في مصر وبلاد الشام، وأتيح له بما أغدقه من العطايا والهبات أن يكتسب محبة القواد والجند وكبار الموظفين المصريين[8].

وعندما شبّ أنوجور كان قد وجد النفوذ كله بيد كافور، وبدأ العداء بين التلميذ وأستاذه، وانقسم الجند إلى فريقين : الإخشيدية – وهم مماليك الأسرة

([7]) طقوش ، محمد سهيل "دكتور" : تاريخ الطولونيين والإخشيديين والحمدانيين ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط 1 2008م ، ، ص180- 181. والعبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ،مرجع سبق ذكره ، ص 143.

([8]) ابن خلكان : الوفيات ، مصدر سبق ذكره ، ج1 ، ص546.

الإخشيدية وأنصارها، والكافورية – وهم أنصار كافور الذين رقاهم إلى المناصب العالية في الدولة، ومع ذلك فقد ظل كافور على ما هو عليه، يصرف لأب سيده راتباً قدره المقريزي بأربعمئة ألف دينار في السنة [9] .

وبدأ أنوجور يتخذ خطوات عملية لاسترداد سلطته المسلوبة، فأراد الخروج إلى الشام سنة 343هـ الموافق 954م وربما كان يرمي بذلك إلى إعداد جيش يزحف به على مصر للتخلص من كافور بحد السيف، ولكن أم أنوجور سعت إلى مصالحتهما خوفاً على ولدها من بطش كافور ، فتصالحا. وظل أنوجور مسلوب السلطة، لا يملك من الأمر شيئاً، حتى مات سنة 349هـ/ 960م، فحملت جثته إلى بيت المقدس ودفن بالقرب من أبيه. ويتهم بعضهم كافوراً بأنّه سعى إلى موت أنوجور، فإنّ كراهته لهذا المغتصب كانت غير خافية، وقد دبر له المكايد والحيل للتخلص منه؛ ولذا يقال إنّ كافوراً سقاه السم. على أنّه من الصعب أن نقبل هذه التهمة على علاتها، فقد عرف كافور بالعفة وكرم الخلق؛ وذلك عندما ذكر أحمد بن طولون في مجلس كافور بأنّه أحصى من قتل أو مات في حبسه، فكانوا ثمانية عشر ألفاً فاستعاذ كافور بالله من هذا الأمر ورفع يديه يدعوا الله أن يجعل أضعافهم في ديوان إحسانه وصلاته. على أنّه من الجائز أنّ كافوراً لما عرف بنية أنوجور رأى أن يعجل بقتله، حرصاً على حياته وإبقاءً على مركزه. وإذا

(9) تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/ 1441م) :المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، مطبعة بولاق ،القاهرة ، 1270هـ ، ج 1، ص 27، وطقوش : تاريخ الطولونيين والإخشيديين والحمدانيين ، المرجع السابق ، ص178.

أخذنا بهذا الاحتمال، فمن الجائز أن يكون كافور قد انتحل طيبة القلب سياسة منه لاجتذاب قلوب الناس إليه [10]

ولا شك أنّ كافوراً كان مشغوفاً بالإمارة، ولوعاً بالسلطة، فإنّه لما تولى أبو الحسن علي ابن الإخشيد الحكم بعد أخيه أنوجور، ظل كافور يباشر الأمور بنفسه، على الرغم من أنّ الوالي الجديد كان عمره ثلاثاً وعشرين سنة، وأقره الخليفة المطيع بالله على حكم مصر والشام والحجاز، واستمر كافور محتفظاً بالنفوذ والسلطة وحجر على ابن الإخشيد ومنعه من لقاء رعاياه، وظلّ محجوراً عليه وأسيراً في قصره، لا عمل له إلا الصلاة واللهو، ودفع له كافور كما كان يدفع لأخيه من قبل راتباً قيمته أربعمئة ألف دينار في كل سنة، وبقي أبو الحسن على ذلك إلى أن مات سنة 355هـ / 966م بالعلة التي مات بها أخوه من قبل [11] .

(ت) التداعيات السياسية والأدبية والاقتصادية في عهد الإخشيديين وأثرها في الدولة :-

ومن ثمّ كان الوارث للعرش ولد صغير يدعى أحمد بن أبي الحسن علي، فحال كافور دون تعيينه بحجة أنّه غير صالح للحكم لصغر سنه، وبقيت مصر بغير أمير حوالي شهر، وفي المحرم سنة 355هـ/966م أخرج كافور كتاباً من الخليفة العباسي بتقليده ولاية مصر، وأظهر الخلع التي وصلت إليه من الخليفة، فنودي به

([10]) ابن سعيد ، علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت 685هـ /1286م): المغرب في حلى المغرب ، تحقيق زكي محمد حسن وسيدة إسماعيل كاشف وشوقي ضيف ، جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1953م ، ص 46- 49.

([11]) الخربوطلي : مصر العربية الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ص 96.

*اختلف الباحثون في سبب تسمية القرامطة بهذا الاسم ، فمنهم من قال: أن سبب تسميتهم بهذا الاسم يرجع إلى رجل يدعى "حمدان بن الأشعث " كان يسكن إحدى القرى في سواد الكوفة ويلقب " كرميتة " لحمرة عينيه. وقيل إنّ القرامطة نسبة إلى حمدان بن الأشعث وهو رجل كان يعيش بسواد الكوفة، وأطلق عليه لقب قرمط لقصره، وكانت رجليه أيضاً قصيرتين وخطواته بذلك متقاربة ، فسمي بالقرمطي. انظر: القضاة، فراس حامد: الدولة العباسية في عهد الخليفة المقتدر بالله(295- 320هـ) رسالة ماجستير ، غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية ، المكتبة المركزية ، 1431هـ/ 2000م، ص 170.

والياً على مصر وما يليها من البلاد، فلم يغيّر لقبه "الأستاذ" ودعي له بعد الخليفة على المنابر، وظل على رأس الحكومة الإخشيدية زهاء سنتين وأربعة أشهر (10 صفر سنة 355هـ – 20 جمادى الأولى سنة 357م)، ويصف المؤرخون عهده بأنّه كان عهداً أسوداً، توالت فيه المصائب على مصر، وتعرضت بلاد الشام لغارات القرامطة* الذين نهبوها وقبضوا على قافلة مصرية كبيرة تحتوي على عشرين ألف جمل كانت ذاهبة إلى مكة لأداء فريضة الحج سنة 355هـ الموافق 364م ووقعت بمصر زلازل مروعة، وشبت نيران هائلة دمرت ألف وسبعمئة منزل من منازل الفسطاط، وأغار ملك النوبة على مصر فجأة وعاث فساداً في البلاد الواقعة بين الشلال الأول وإخميم، فأحرق بعض المدن وقتل أهلها بالسيف ونهب أموالهم، وكان أشد هذه الأهوال انخفاض ماء النيل، ففي أواخر عهد الدولة الإخشيدية انخفض النيل انخفاضاً دام تسع سنين (351-360هـ)، وبقي حتى أيام الفاطميين، وقد قاست البلاد الأمرين مما أصابها من القحط والوباء، واشتد الغلاء، وندر وجود القمح، وفشا الموت بحالة عجز معها الناس من تكفين الموتى ودفنهم، وقد ذكر بعض المؤرخين أنّ عدد الموتى بلغ ستمئة ألف، وأنّه كان يلقى بجثثهم في النيل لكثرتها، وقد تبع انخفاض النيل اضطراب الأعمال الحكومية، وانتشار المجاعات والأوبئة، فنهبت المحاصيل وعم السلب والنهب، حتى إن كافوراً لم يستطع أن يدفع أرزاق الجند [12] .

وعندما وقع ذلك الزلزال العظيم بمصر، خاف الناس وهربوا إلى الجبال، ودخل محمد بن عاصم الشاعر على كافور وهو في موكبه، فأنشده قصيدة عظيمة منها هذا البيت :

([12]) حسن ، حسن إبراهيم "دكتور" : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، مرجع سبق ذكره، ص124.

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها لكنها رقصت من عدله طرباً

فلما سمع كافور ذلك أجازه على هذه القصيدة بألف دينار. وكان كافور يدني الشعراء ويجيزهم، وكانت تقرأ عنده في كل ليلة السير، وله ندماء، وكان عظيم الحرمة، وله حجَاب ، وله جوارٍ مغنيات، وله من الغلمان الروم والسود ما يتجاوز الوصف، وكان كثير الخلع والهبات، خبيراً بالسياسة، فطناً ذكياً، جيد العقل داهية [13] .

ومما وقع له أنّه كان جالساً بين حاشيته في يوم عيد، فدخلت عليه طائفة من التكرور وهم يرقصون ومعهم طبل وطنبور، فلما رقصوا بين يديه طرب منهم وحرّك كتفيه ثم أنه استدرك، فصار يحرّك كتفيه في كل ساعة من الليل والنهار ، دفعاً لما قد تجره هذه الحركة من نقد الناس وسخريتهم به حتى لا يعتقدوا أنه فعل ذلك من أجل هذا الطبل أو الطنبور حتى مات، وقال: هذا مرض يعتريني [14] .

واستطاع كافور أن يبقي على النظام الذي ساد مصر منذ عهد الإخشيد، وكانت له شخصية قوية، فوفق إلى حد كبير في كسب رضا مولاه الإخشيد، حتى وصل إلى هذه الدرجة والمكانة السامية وقد بذل جهده في الاحتفاظ بهذه المكانة، فتمتعت البلاد بشيء كثير من الرفاهية، حتى إننا لا نسمع في ذلك العهد تذمراً أو سخطاً من جانب المصريين مما يدل على أنه كان محبوباً لدى رعيته [15] .

وبالتالي فإنّ عهد كافور لم يخل من حسنات، فقد ظهرت في عهده نهضة أدبية وعلمية، فظهر عدد من الفقهاء والأدباء والمؤلفين والشعراء، كان من أبرزهم

([13]) ابن إياس ، محمد بن احمد الحنفي المصري ، "ت 930هـ / 1523م" : المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور مطابع الشعب ، القاهرة ، 1960م ، ص33. والمقريزي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج4 ، ص 6 .

([14]) ابن إياس : المصدر السابق ، ص32.

([15]) حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص125.

القاضي أبوبكر بن الحدّاد وتلميذه محمد بن موسى المعروف باسم سيبويه المصري وأبو عمر الكندي والحسن بن زولاق[16] .

وكان كافور يستمع في الليل إلى تاريخ الدولتين الأموية والعباسية، وإلى قصائد الشعراء والغناء، ومن الشعراء الذين مدحوه أبو الطيب المتنبي أشهر شعراء عصره، فارق سيف الدولة الحمداني مغاضباً وقصد مصر ، وامتدح كافوراً بأحسن المدائح طمعاً في أن يولّيه بعض أعمال مصر، فخلع كافور عليه وأنزله في داره، وعيّن جماعة لخدمته، وأغدق عليه كثيراً من المال، ولكنه لم يولّه عملاً من الأعمال معتذراً بأنّه لا يستطيع أن يولّي رجلاً يدّعي النبوة، فانقلب مدح أبي الطيب هجاء، كما أسرف في مدحه من قبل[17] .

ومما قاله المتنبي في مدح كافور :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه ... وإن لم أشأ تُملى علي واكتب
إذا ترك الإنسان أهلاً وراءه ... ويمّم كافوراً فما يتغرب
فتى يملأ الأحلام رأياً وحكمة ... ونادرة أحيانَ يرضى ويغضب
إذا ضربت في الحرب بالسيف كفّه ... تبينت أنّ السيف بالكف يضرب
تزيد عطاياه على الغيث كثرة ... وتبيت أمواه السحاب فتنصب
أبا المسك هل في الكأس فضل أناله ... فإنّي أغني منذ حين وتشرب [18]

([16]) العدوي ، إبراهيم احمد "دكتور": التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، 1976م ، ص340- 341

([17]) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (ت 733هـ / 1333م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج2 ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، 1980م ، ص 306.

([18]) عطا الله ، خضر أحمد "دكتور": الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998م ، ص24 – 25.

ولما لم ينل المتنبي ما كان يطمع فيه من مناصب، نظم قصيدته الدالية المشهورة التي هجا فيها كافور، ومنها:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد
جود الرجال من الأيدي وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود
لا تشتري العبد إلا والعصا معه إنّ العبيد لأنجاس منا كيد
من علم الأسود المخصي مكرمة أقوامه البيض أم أباؤه الصيد
من كل رحو وكاء البطن منفتق لا في الرجال ولا النساء معدود
أكلما اغتال عبد السوء سيده أو خانه فله في مصر تمهيد
صار الخصي إمام الآبقين بها فالحرّ مستعبد والعبد معبود
العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنّه في ثياب الحرّ مولود
ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن يسئ بي فيه كلب وهو محمود[19].

ويقال إنّ المتنبي هرب من مصر في نفس الليلة خوفاً من بطش كافور، وقد كان كافور عالي الهمة عارفاً بأقدار العلماء والوجوه والأشراف، وقد روى أبو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر الشريف العلوي، أنّه بينما كان كافور راكباً في موكبه يوماً إذ سقط سوطه فناوله الشريف إياه فقبّل كافور يده وقال له: "نعيت إليَ نفسي"، فما بعد أن ناولني ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوطي غاية يتشرف لها، وفي رواية أخرى " إنّ كافوراً ردَ على الشريف بقوله: أيها الشريف أعوذ بالله من بلوغ الغاية ما ظننت أنّ الزمان يبلغني حتى يفعل بي هذا، وكاد يبكي. فلما بلغ كافور داره أمر بالبغال لترسل إلى الشريف، فحملت من العطايا ما يربو ثمنها على خمسة عشر ألف دينار" [20] .

([19]) الثعالبي ، أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت 429هـ / 1037م): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ج1 ، شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قمحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1403هـ / 1983م ، ص66.

([20]) حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، مرجع سبق ذكره ، ص127.

وقد كان كافور مثقفاً، وله نظر في العربية والأدب والعلم، وأنّ عدداً من أفاضل العلماء عمل له، وممن كان في خدمته أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النحوي صاحب الزجاج، كما كان كافور عجباً في العقل والشجاعة [21] .

(ث) نهاية الدولة الإخشيدية :

حاول المعز لدين الله الفاطمي في عهد كافور فتح مصر ، وكان قد أخفق في ذلك المهدي والقائم والمنصور، ووصل المعز إلى واحات مصر ، فبعث إليه كافور جيشاً صدّه عن مصر، ولكن هذه الحملة وإن أخفقت عسكرياً إلا أنها نجحت في نشر المذهب الشيعي الفاطمي، فقد أحسن كافور استقبال الدعاة الفاطميين، ولكنه لم يسمح بانتشار المذهب الشيعي على نطاق واسع، وكان كافور يحتفظ بصداقة كل من الخليفة العباسي السني والخليفة الفاطمي الشيعي، كما كان يهادن المعز صاحب المغرب، ويظهر ميله إليه، وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس، ويداري ويخادع هؤلاء وهؤلاء [22] .

توفي كافور بمصر في شهر جمادى الأولى سنة 357هـ/967م، وعاش بضعاً وستين سنة. وكانت إمارته على مصر ثلاثاً وعشرين سنة استقل فيها بالحكم لمدة عامين وأربعة أشهر، خطب له فيها على منابر مصر والشام والحجاز والثغور، مثل طرسوس والمصيصة وغيرهما، وحمل تابوته إلى القدس فدفن به، وكُتب على قبره:

ما بال قبرك يا كافور منفرداً بالصَّحصح المرت بعد العسكر اللَّجب

([21]) عطا الله : الحياة الفكرية في مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص27. والذهبي ، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله بن عثمان بن قايمز ، (ت 673هـ / 1347.) : دول الإسلام ، ج1، تحقيق محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974م ، ص221.

([22]) سيديو ، ل.أ: تاريخ العرب العام ، نقله إلى العربية عادل زعيتر ، دار العالم العربي ، ط1 ، 1431هـ / 2010م ص 244 . وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة ، مصدر سبق ذكره ، ج4 ، ص6.

يدوس قبرك آحاد الرجال وقد كانت أسود الشرى تخشاك في الكتب[23] .

وبعد وفاة كافور اختار الجند أبا الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد حاكماً لمصر، وكان طفلاً في الحادية عشرة من عمره، ولذا عيّن الجند الحسن بن عبيد الله بن طغج والى الشام وصياً عليه، فاستبد الحسن بالسلطة، وقبض على الوزير جعفر بن الفرات وسجنه وساءت سياسته، فاضطره المصريون إلى الفرار ناحية الشام، وعاد جعفر بن الفرات إلى الوزارة، فساءت الأحوال في عهده، وانتشر القحط والغلاء والفوضى[24]

(ج) أطماع الفاطميين في مصر بقيادة المعز لدين الله الفاطمي:-

وفي سنة 358هـ/969م عزم الإمام المعز أن يفتح مصر التي كانت من أضعف البلاد التي يسيطر عليها العباسيون وأشدها اضطراباً، فجهز جيشاً عظيماً بقيادة جوهر الصقلي(*) وسيّره إلى مصر في 14 ربيع الأول سنة 358هـ/969م، وكان يجتمع بجوهر كل يوم، وخرج إليه يوماً فقام جوهر بين يديه، وقد اجتمع الجيش، فخاطب الإمام الدعاة الذين سيّرهم مع جوهر، فقال: " لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، ولتدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب ولتنزلن في خرابات ابن طولون وتُبنى مدينة تسمّى القاهرة [24] .

ومهما يكن من أمر فقد أخذ المعز يستعد منذ عام 356هـ/967م ليضرب الضربة الكبرى، فقام بإنشاء الطرق وحفر الآبار، وإقامة المنازل والمحطّات

([23]) الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، "دكتور": معالم تاريخ الإسلام ، مكتبة الفلاح ، الكويت ط1 ، 1410هـ / 1990م ، ص258.

(*) ولد جوهر بجزيرة صقلية ، إحدى جزر الدولة الرومانية، فهو باعتبار مولده رومي الأصل. انظر: حسن، علي إبراهيم "دكتور": تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط2، 1963م، ص9.

([24]) الفقي : المرجع السابق ، نفس الصفحة.

([24]) زيتون ، محمد محمد : القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1408هـ / 1988م ، ص 147. وغالب ، مصطفى : تاريخ الدعوة الإسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1965م ، ص 196 .

للاستراحة على طول الطريق من برقة* حتى مشارف الإسكندرية. وفي الوقت نفسه نشطت أبواق الدعاية للفاطميين في وادي النيل، وأرسل المعز إلى دعاته بمصر أعلاماً ورايات وأمرهم أن يوزّعوها على من يبايع الخليفة الفاطمي من جند مصر وينشروها على الملأ وقت دخول الجيش الفاطمي أرض مصر، ويبدو أنّ أهل مصر لم يكونوا في حاجة إلى كثير من الدعاية، بعد أن استبدّ بهم الضيق، وصاروا يتطلعون إلى تغيير أيّ تغيير على أن يكون فيه صلاح أحوالهم [25].

وتشير جميع الشواهد التاريخية إلى أنّ استعداد الخليفة المعز، كان كبيراً فأنفق على الحملة أربعة وعشرين مليون دينار، وخرج الخليفة بنفسه ليودّع جيشه سنة 358هـ/969م، وأقام أياماً في المعسكر، لتشجيع الجند وتقوية الروح المعنوية فيهم وحملهم على الصبر والإخلاص خاصة في وقت التلاقي مع الأعداء، فقبّل جوهر يد الخليفة وسجد على الأرض ليقبّل حافر فرسه ، ثم سار في طريقه إلى الإسكندرية، وفي الوقت الذي زحف فيه الجيش الفاطمي براً بقيادة جوهر، أبحرت في البحر بعض القطع البحرية من الأسطول الفاطمي بحذاء الجيش لتساعده وتحمي مسيرته من ناحية البحر، وهكذا تقدمت القوات الفاطمية بقيادة

*برقة : بفتح أوله والقاف ، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وافريقية ، وفي برقة فواكه كثيرة وخيرات واسعة ، وفيها أيضاً قبر "رويقع" صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . انظر : شهاب أبي عبدا لله بن عبدا لله الحموي الرومي (ت 626هـ/1229م): معجم البلدان ،ج1 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1906م، ص 389.

([25]) البسطويسي ، محمد السيد : الكتابات العربية على النقود والتحف الفاطمية في مصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المكتبة المركزية ، جامعة القاهرة ، 2005م ، ص 5. وإسماعيل ،صبحي إسماعيل إبراهيم : الصراع العباسي الفاطمي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، المكتبة المركزية ، جامعة النيلين ، 1420ه/ 2000م ، ص 85-86 .

جوهر في نظام محكم، يدعو للدهشة والإعجاب، حتى وصلت الإسكندرية واحتلتها دون مقاومة [26].

وعندها أفاق الوزير جعفر بن الفرات وأدرك ألاّ حول له ولا قوة أمام الغزو الفاطمي بقيادة جوهر ، وأنّ الخلافة العباسية أضعف وأبعد من أن تنجده، جمع وجوه القوم وأهل الرأي للمشورة، واستقر رأي الجميع على مفاوضة جوهر الصقلي على شروط الصلح والتسليم، وظهر بعد نظرهم عندما اختاروا على رأس المفاوضة أحد الأشراف من سلالة الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهو الشريف جعفر ابن مسلم بن عبد الله [27].

وفي الواقع أنّ الأمر لم يكن في حاجة إلى مفاوضات طويلة لأنّ العملية كانت عملية استسلام فقد التقى الطرفان في " تروجة البحيرة "* ومنح جوهر الصقلي أهل مصر أماناً وعهداً، بأن يترك لهم حرية العقيدة والمذهب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وأن يصلح أحوال البلاد، ويحمي أرواح العباد وينشر العدل، ويمنع الظلم، بيد أنّ طائفة كبيرة من الجند المصريين رفضوا هذا العقد ودخلوا في معركة حربية مع جوهر الصقلي، ولكنهم استسلموا في النهاية وطلبوا إعادة الأمان، ومما لا يدع مجالاً للشك أنّ جوهر الصقلي لجأ إلى سياسة خداع أهل مصر، ويتّضح ذلك من خلال منحه الحرية التامة للمصريين في أمورهم الدينية وإقامة شعائرهم، كل حسب المذهب الذي يدين بعقائده،؛ وبالتالي فقد فتح جوهر

([26]) أبو المحاسن ،جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت 874هـ/1469م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج 4 المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ص 28 . وابن خلكان : الوفيات ، مصدر سبق ذكره ، ج1 ، ص 148.

([27]) الكندي ، أبي عمر محمد بن يوسف المصري (ت350هـ/961م): كتاب الولاة وكتاب القضاة ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، لبنان ، 1908م ، ص 584.

أرض مصر في العام 358هـ/969م منادياً بالدعوة الفاطمية، وبنى الأزهر الشريف، واتخذ من القاهرة عاصمة له [28].

وأول ما قام به منع إقامة الدعاء للخلفاء العباسيين الذي يتم بمساجد مصر وجعله للخليفة المعز لدين الله، وضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي بدلاً من اسم الخليفة العباسي، وعلى أحد وجهيها :" دعا الإمام معد بتوحيد الإله الصمد " وفي السطر الثاني " المعز لدين الله أمير المؤمنين " وفي السطر الثالث " ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة " وعلى الوجه الآخر لا إله إلا الله محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وعلى أفضل الوصيين وزير خير المرسلين " [29].

وقد قام جوهر أيضاً بمنع الناس من لبس السواد وهو شعار العباسيين، وزيد في الخطبة العبارة الآتية:" اللهم صلّ على محمد النبي المصطفى وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهبت عنهم الرجس وطهّرتهم تطهيراً، اللهم صلّ على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين الهادين المهديين [30].

([28]) الرافعي و عاشور ، عبد الرحمن وسعيد عبد الفتاح : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، دارا لنهضة العربية ، القاهرة ، ط1، 1970م ، ص 192. وفريق البحوث والدراسات الإسلامية : الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي ، ج1، تقديم الدكتور راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ط1، 1426هـ/2005م ، ص 419. والمقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،بيروت ، لبنان ، ج1 ، 1967، ص 70. وشلبي ، مها محمد محمد : النوبيون أصولهم وممالكهم على النيل في الفترة ما بين 575-1350م ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة أم درمان الإسلامية ، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي ، المكتبة المركزية ، يونيو 2006م ، ص 86.

([29]) سرور ، محمد جمال الدين (دكتور): السيادة الفاطمية في مصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1964م ، ص 69.

([30]) حسن ، إبراهيم حسن "دكتور": تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج3 ، النهضة المصرية القاهرة ، 1966م ، ص 165. والمقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج1 ، 1967م ، ص 166.

ولم تلبث هذه التغييرات الدينية التي أدخلها جوهر الصقلي رغبة في نشر الدعوة الفاطمية، أن لقيت كثيراً من النجاح، مما سرّ القائد جوهر ، فبعث للمعز يخبره بما لقيته دعوته من تأييد وقبول [31].

وبعد أن استقر سلطان الفاطميين في مصر، أرسل جوهر إلى المعز يستدعيه ليتقلّد زمام الحكم في البلاد، فلما أدرك المعز أنّ قوة نفوذه وسلطته قد توطّدت في مصر، تعجل بالرحيل إليها، فمنح يوسف بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي إفريقيا والمغرب [32].

وخرج من مدينة المنصورية في شهر شوال سنة 361هـ/972م متوجهاً إلى مصر، يرافقه كثير من أتباعه وجمع كبير من رجالات دولته، من بينهم أولاده وإخوته وأعمامه [33].

ومما ذكر يتضح لنا كيف كانت الدولة العباسية تعاني الاضطرابات والفتن، مما شغلها عن شؤون مصر، وانتهزت الدولة الفاطمية فرصة ضعف الدولتين الإخشيدية والعباسية، فأعادت محاولاتها لفتح مصر، ونجح جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (سنة 358هـ/ 969م) في فتحها[34] ؛ و بالتالي كانت نهاية الدولة الإخشيدية.

([31]) سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1394هـ/1974م.، ص 69.

([32]) ابن الأثير ، عزا لدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدا لكريم بن عبدا لواحد الشيباني (ت 630هـ): الكامل في التاريخ ، ج8 ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1 1422هـ/2002م ،ص 205.

([33]) حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مرجع سبق ذكره ، ج3 ، ص 172.

([34]) الخربوطلي : مصر العربية الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ص99.

[35] إبراهيم ، يحيى محمد " دكتور " وشيخ إدريس ، الفاتح الزين " دكتور " تاريخ الدولتين الأموية والعباسية ، منشورات جامعة السودان المفتوحة ، الطبعة الثانية ، 2007م ، ص 243.

(ح) العوامل التي ساعدت على سقوط الدولة الإخشيدية:-

1- الأزمات الداخلية. والواقع أنّ الضعف قد بدأ منذ وفاة الإخشيد في سنة 334هـ يتطرق إلى الدولة الإخشيدية، فقد استبد كافور بالأمور دون ولدي الإخشيد، أبي القاسم أنوجور(334-349هـ) وأبي الحسن علي (349-355هـ)، ومع ذلك استطاع كافور أن يقضي على الثورات التي قامت في ذلك العهد (334-355هـ)، كما انتصر على الحمدانيين في الشام. ومن الأزمات الداخلية أيضاً انقسام الجند على أنفسهم إلى فريقين: فريق الإخشيدية، الذين يناصرون بيت الإخشيد، وفريق الكافورية، الذين يتشيعون لكافور.

2- المجاعات؛ فقد اجتاحت المجاعة مصر، وطمع القرامطة في بلاد الشام فهاجموها مرتين في سنتي (353هـ،357هـ)، وبالتالي قد اشتد الغلاء وفشا الموت في الناس، حتى عجزوا عن تكفينهم ودفنهم.

3- انحسار النيل. وقد استمر انخفاض النيل من (سنة 351 إلى سنة 360 هـ)

4- استبداد الحكام وكراهية المصريين ورفضهم الظلم، حتى تم للفاطميين فتح مصر بقيادة جوهر الصقلي (سنة 358هـ/968م[35]).

الخاتمة :

لو أنّ مصر كانت من القوة كما كانت في عهد أحمد بن طولون (254-270هـ)، أو في عهد محمد بن طغج الإخشيد (323-334هـ) لما استطاع الفاطميون فتحها، والواقع أنّ الضعف قد بدأ منذ وفاة الإخشيد في (سنة 334هـ/945م) يتطرق إلى الدولة الإخشيدية، فقد استبد كافور بالأمور دون ولدي الإخشيد، ومع ذلك استطاع كافور أن يقضي على الثورات التي قامت في ذلك العهد (334-355هـ) كما انتصر على الحمدانيين في الشام.

ولم يكد كافور يستقل بحكم مصر في سنة 355هـ/966م، حتى أخذ المعز لدين الله الفاطمي يعد العدة لفتح مصر، وساعده على ذلك ما ساد هذه البلاد من الاضطراب، فانقسم الجند على أنفسهم إلى فريقين: فريق الإخشيدية، الذين يناصرون بيت الإخشيد، وفريق الكافورية الذين يتشيعون لكافور فأرسل المعز عسكره من المغرب إلى الواحات، فجهز كافور إليه جيشاً أخرجوا العسكر وقتلوا منهم، كما اجتاحت المجاعة مصر، وطمع القرامطة في بلاد الشام، فهاجموها مرتين في سنتي (353هـ،357هـ) وقد أدرك كافور قبل موته (جمادى الأولى سنة 357هـ/968م) ما أصاب البلاد من نكبات، فقد اشتد الغلاء وفشا الموت في الناس، حتى عجزوا عن تكفينهم ومواراتهم الثرى، وأرجف بمسير القرامطة إلى الشام وبدت غلمانه تتنكر له، لعدم دفع رواتبهم، وطمع أحد أمراء النوبة في مصر الجنوبية فغزاها، حتى وصل إلى إخميم ولم يجد من يقف في وجهه ، وعاد إلى بلاده محملاً بالأسلاب والغنائم.

وقد استمرت هذه الحالة السيئة بعد وفاة كافور، واضطربت أحوال مصر السياسية، فلم يكن الخليفة العباسي المطيع بالله (334-363هـ) من القوة بحيث يستطيع من يولي على مصر من يشاء؛ لذلك اجتمع رجال البلاط الإخشيدي لاختيار شخص تتفق ميوله مع أهوائهم، فوقع اختيارهم على أبي الفوارس أحمد بن علي الإخشيد، ولم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره.

غير أنّ الحسن بن عبيدا لله لم يبق بمصر طويلاً، وعاد إلى بلاد الشام بعد أن حاول الاستبداد بالأمور، وقبض على الوزير جعفر بن الفرات وترك مصر تنعي أهلها وتنتابها المصائب، فقد ظلت بعد خروجه منها مسرحاً للفوضى مدة خمسة شهور، حيث وضعت إدارتها في قبضة الوزير بن الفرات، فلم يستطع أن يخفف المصائب عنها، وعجز عن دفع رواتب الجند، وتفاقمت الثورات، وتمنى

الأهالي الخلاص مما هم فيه، ومن ثم سنحت الفرصة للخليفة المعز لضعف الجنود المصريين و انقسامهم على أنفسهم، وقيامهم في وجه حكامهم ، وخاصة الوزير ابن الفرات، وميل كثير منهم إلى المبادئ الشيعية الفاطمية، وظن الخليفة الفاطمي أنّ أهل هذه البلاد لن يقاوموه، هذا إضافة إلى أنّ العباسيين كانوا في حالة من الضعف والاضطراب، بحيث لا يستطيعون إنقاذ مصر، أو إمدادها بالرجال والمال؛ لهذا لا نعجب إذا نجح جوهر في فتح مصر نجاحاً منقطع النظير ، فلم يفقد كثيراً من رجاله، أو تعترضه أية عقبات.

خلاصة؛ فإنّ قيام الدولة الإخشيدية جاء نتيجة لسقوط الدولة الطولونية على أيديهم مستقلة ضعف الدولة العباسية، وهكذا نجح قائدها محمد بن طغج بن جف عام(323هـ/ 935م)في تأسيس الإمارة الإخشيدية بمصر.

النتائج :

1- قيام الدولة الإخشيدية كان نتيجة لضعف الدولة العباسية .

2- من أهم الأسباب التي ساعدت على قيامها، انتشار التيارات السياسية والمذاهب الفكرية المختلفة في تلك الفترة .

3- في فترة الدولة الإخشيدية شهدت نهضة أدبية كان قوامُها أبا الطيب المتنبي وكشاجم والناشئ الأصغر ومحمد بن عاصم.

التوصيات :

كانت الدولة الإخشيدية محوراً لمنابع حضارية وثقافية واجتماعية واقتصادية عظيمة تستحق الدراسة الموسعة في كل جانب من جوانبها، فيستطيع المؤرخ أن يكتب عنها الكثير، ويستطيع الأديب أن يسجل عنها الدراسات التي تخص الآداب والفنون، وكذلك عالم الاقتصاد والاجتماع وعالم السياسة والفكر

والخبراء العسكريون؛ لذا فإنّ ما كتب عنها يحتاج إلى المزيد من الدراسة والتبحر في جميع الجوانب والمظاهر الإنسانية ، ولكل ما سبق نخلص إلى التوصيات الآتية:

1. مراعاة تكثيف الدراسات التاريخية في المجالات العلمية والفكرية والجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية والتوسع في الاطلاع على هذه الحقبة.
2. إنشاء وتخصيص أقسام علمية ومراكز بحثية لتاريخ الدولة الإخشيدية.
3. الاهتمام بآثار ومخطوطات ووثائق الإخشيديين، حيث إنّ المكتبة السودانية تفتقر لمصادر المعلومات في هذه الحقبة التاريخية المهمة.

المصادر والمراجع

المصادر:

1- ابن الأثير ، عزا لدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ): الكامل في التاريخ ، ج8 ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2002م.

2- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي المصري (ت930هـ/1523م): المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مطابع الشعب، القاهرة ، 1960م.

3- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت429هـ): لطائف المعارف ،تحقيق إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960.

4- جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تفسير الجلالين، الطبعة الأولى، 1427هـ/ 2006م، شركة القدس للنشر والتوزيع ،القاهرة، ص 150.

5- الحموي، شهاب الدين أبوعبد الله بن عبد الله الحموي الرومي (ت626هـ/1229م): معجم البلدان ، ج ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1906م.

6- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد إبراهيم بن أبي بكر الشافعي (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، ج ، دار صادر ، بيروت، لبنان، 1977م.

7- الذهبي، الحافظ شمس الدين أبوعبد الله بن عثمان بن قايمز (ت673هـ/1347م): دول الإسلام، تحقيق محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

8- ابن سعيد، علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت 685هـ/ 1286م): المغرب في حلى المغرب، تحقيق زكي محمد حسن وسيدة إسماعيل كاشف وشوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة ، 1953م.

9- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف المصري (ت350هـ/961م): كتاب الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان ، 1908م.

10- ابن كنعان، القاضي الشيخ محمد بن أحمد، تاريخ الدولة العباسية وما وافقها من الممالك القسم الثاني، خلاصة تاريخ ابن كثير، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط1 1419هـ/1998م.

11- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/ 1441م): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، مطبعة بولاق، القاهرة ، ج1 ، 1270هـ.

12- أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت874هـ/1469م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، 1972م.

13- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1333م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج2، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ، 1980م.

المراجع :

1- القضاة، فراس حامد: الدولة العباسية في عهد الخليفة المقتدر بالله(295-320هـ) رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، المكتبة المركزية، 1431هـ/ 2000م.

2- إسماعيل، صبحي إسماعيل إبراهيم: الصراع العباسي الفاطمي، رسالة ماجستير، غير منشورة، المكتبة المركزية، جامعة النيلين ، 1420هـ/2000م.

3- البسطويسي، محمد السيد، الكتابات العربية على النقود والتحف الفاطمية في مصر رسالة ماجستير غير منشورة، المكتبة المركزية، جامعة القاهرة، 2005م.

4- حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط4، 1981م.

5- ..... تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3، النهضة المصرية، القاهرة ، 1966م .

6- حسن، علي إبراهيم: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط5، 1964م.

7- ..... تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط2، 1963م.

8- حسن، إبراهيم حسن وشرف، طه أحمد: المعز لدين الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ، 1963م.

9- الخربوطلي، علي حسني: مصر العربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، (د ت).

10- الخضري، محمد الخضري بك: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1916م.

11- الرافعي وعاشور، عبد الرحمن وسعيد عبد الفتاح، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1970م.

12- زيتون، محمد محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 1408هـ / 1988م.

13- سرور، محمد جمال الدين: السيادة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي القاهرة، 1964م .

14- السعيد، أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة دار المعارف ، القاهرة ، 1389هـ/1969م.

15- شلبي، مها محمد محمد، النوبيون أصولهم وممالكهم على النيل في الفترة ما بين 575- 1350م، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، المكتبة المركزية، يونيو 2006م .

16- ضيف، شوقي : عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة ، 1990م.

17- طقوش، محمد سهيل: تاريخ الطولونيين والإخشيديين والحمدانيين، دار النفائس، بيروت، لبنان ، ط1، 2008م.

18- العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1987م.

19- العدوي ، إبراهيم احمد : التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1976م .

20- .....العالم الإسلامي، الجزء الأول، دون مكان نشر، 1425هـ/ 2005م

21- عطا الله، خضر أحمد: الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998م.

22- غالب، مصطفى ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1965م .

23- فريق البحوث و الدراسات الإسلامية ، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ج1، تقديم راغب السرجاني ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ط1، 1426هـ/2005م .

24- الفقي : عصام الدين عبد الرؤوف، معالم تاريخ الإسلام ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط1 1410هـ/1990م.

25- كاشف، سيدة إسماعيل : مصر في عصر الإخشيديين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1989م .

المراجع المترجمة :

1- جمهري ، تران بودر ، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثاني، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، (د ت).

2 - سيديو، ل، أ : تاريخ العرب العام ، نقله إلى العربية عادل زعتر، دار العالم العربي، ط1 1431هـ/2010م.